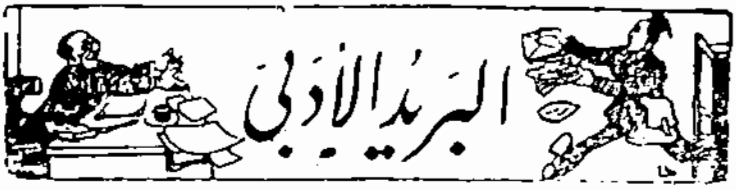

طرابلس وليست ليبيا

بمناسبة استقلال الشعب الطرابلسي وفوزه بالحرية المنشودة كثر خوض الصحف في ذكر اسم رددته ألسنة العامة والخاصة ولم يقتصر الأمر على هذا وذاك بل وتعداه إلى المحاضر الرسمية باسم ليبيا وتعنى به القطر الطرابلسي بأقاليمه الثلاثة (فزان وبرقة وطرابلس) ومن الغريب أن الرأي السائد عند أهلها يساير هذا الإطلاق أيضا . وهو وإن لم يكن خطأ في الجملة من ناحية فهو ليس بصحيح على وجه العموم من ناحية أخرى على ما سأبينه .

أما ليبيا فقد قال عنها ياقوت في معجم البلدان جـ ٧ ص ٣٤١ (لوبية ـ ليبيا ـ مدينة بين برقة وإسكندرية) وأهمل ياقوت ضبط موقعها الجغرافي على غير عادته في دقة التحديد بالدرجات والدقائق القوسية. وهذه المدينة لم يبق لها أي أثر يذكر الآن ويقول اليوزباشي محمد إبراهيم لطفي المصري في كتابه (تاريخ طرابلس الغرب) ص ٨ ما معناه : إن ليبيا هذه هي الصحراء المتاخمة لحدود مصر الغربية وسميت بذلك نسبة للولد ابن حام بن نوح عليه السلام؛ فقد كانت تسكن هذه الصحراء قبائل من نسله فنسبت إلى جدهم الأكبر ؛ وطلبا للخفة وبحكم التطور عرفت فيما بعد بليبيا . ويلاحظ شيء فارق بين هذا وما ذكره ياقوت

وقال ياقوت جـ ٦ ص ٣٤ عن طرابلس ـ بألف وبدونه ـ وذكر أن معناها ـ مركبا ـ ثلاث مدن هند الإغريق والرومان وهي مساحة تشمل مالا يقل عن ثلاثمائة من الكيلو مترات . ثم

كان قبر موشكين مختلفا عن سائر القبور وكانت الأعشاب تغطيه وعلى سطحه صليب صغير رخيص الثمن قد أتلفه الثلج ..

وقرأنا على الصليب . الصديق المنسي .. موشكين .. » وكانت الكتابة غير واضحة لتقادم الزمن عليها

وتمتم الرجل وهو ينحني على الأرض فتلمس ركبتاه الطين المبلل : « لقد جمع الممثلون والصحفيون مالا لكي يقيموا له نصبا تذكاريا .. فإذا بهم بعد ذلك يبتلعونه »

« ماذا تعني بقولك ابتلعوه ؟ »

« أعني أنهم جمعوا المال لإقامة النصب ثم دسوا المال في جيوبهم. إنني لا أقول ذلك لأنعا لهم بل مقررا لحقيقة واقعة .. والآن .. سأشرب نخب صحتكم أيها السادة ونخب ذكرى الخالدة .. »

« إن الصحة لن تأتينا بشربك نخبها . والذكرى الخالدة أمر محزن .. لتكن الذكرى مؤقتة دائما فهذا خير للبشر .. »

« هذا حق .. لقد كان موشكين رجلا شهيرا .. وقد حمل الناس خلف نعشه عشرات من الأكاليل . ومع ذلك فقد طواه النسيان في مدى عامين .. لقد نسيه من أحبوه .. أما من أساء إليهم فما زالوا له من الذاكرين .. إنني لن أنساه ماحييت .. أبدا ، أبدا ، لأنني ما التقيت منه سوى الإساءة .. إنني لا أحبه .. »

« كيف أساء إليك ؟ »

تنهد الممثل وقد بدت على وجهه المرارة والألم : « إساءة كبرى .. لقد كان الرجل — طيب الله ثراه — وغدا واصا .. فبالنظر إليه والاستماع له أصبحت ممثلا .. وبفنه أغواني فتركت بيتي إلى الأبد ، وقد غرني المجد الفني .. وعدني بالكثير ولم يمنحني سوى الحسرة والدموع .. هكذا المصير الكئيب الذي ينتظر الممثل .. لقد فقدت كل شيء .. الشباب والعاطفة وشبهي بالآلهة وليس الآن في جيبي ملم واحد . وحذائي بال وملابسي ممزقة .. لقد سلبني الإيمان .. هذا اللص .. ومنحني التفكير الحر والحماقة دون أن يكون لدي أية موهبة .. إن الجو بارد أيها السادة فهلا شاركتموني في الشراب ؟ إن بالزجاجة ما يكفينا جميعا .. فلنشرب نخب رقود روحه في سلام ، إنني لا أحبه . إنه الآن ميت .. ومع ذلك فلم يكن لي غيره في هذه الحياة .. وكان لي كأحد أصابعي . هذه هي آخر مرة أراه فيها .. فالأطباء يقولون إني سأموت قريبا لفرط الشراب .. وقد أتيت هنا لأودعه وأقرئه السلام، والعفو عن أعدائنا واجب علينا

وتركنا الممثل ليتحدث إلى موشكين وسرنا وفي الجو رذاذ منعش ...

وعندما بلغنا الطريق العام لمحنا جنازة تمر بنا وقد حمل النعش أربعة يلبسون أحزمة بيضاء وأحذية قذرة ... وكانوا يسرعون في الظلام وهم يتعثرون في مشيتهم ...

« لقد مكثنا هنا ساعتين فقط لم خلوا خلالها ثلاث جثث إلى المقبرة .

حسين أحمد أمين

أفاض فى وصف محاسنها وخيراتها بما يشرف هذا القطر العزيز

وانتهى إلى قوله (. وهذا يدل على أنها ليست مدينة بعينها وأنها كورة..)أى أنها قطر. وأنها أعم اسما من ليبيا ، ثم ذكر طائفة من مشاهير أدبائها ومؤرخيها وذكر فى كل نسبة إما الأطرابلسى أو الطرابلسى وأغفل النسبة إلى ليبيا لأى واحد منهم . ومن مؤرخيها العظام (أبو الحسن على بن عبدالله بن مخلوف الطرابلسى — ولم يقل الليبى — له اهتمام بالتواريخ ...

وصنف تاريخا لطرابلس الغرب ... وقال أبو الطيب يمدح :

لو كان فيض يديه ماء غادية ... عز القطا فى الفيافى موضع اليبس
أكارم حسد الأرض السماء بهم ... وقصر كل مصر عن طرابلس

وقال شاعرها المحارب أحمد بن خراسان الطرابلسى

أحبابنا فيه زهد فى محبتكم ... كونى بمصر وأنتم فى طرابلس
إن زرتكم فالمنايا فى زيارتكم ... وإن هجرتكمو فالهجر مفترسى

ومن هذا كله يتبين أن اسم طرابلس أشمل وأعم من ليبيا وفى نفس الوقت له ما يستند إليه من الأسماء الوجودية

وأملنا فى العهد الجديد كبير فى أن يصحح هذه الأوضاع بتعميم اسم طرابلس على جميع القطر رسميا بدلا من ذلك الاسم الحائر — ليبيا —

هذا ونحن نهيب بمن يعثر على التاريخ المشار إليه آنفاً أن يدل عليه شباب هذا القطر حتى ينتفع به ويكون بذلك قد استجاز الثناء واستوجب الشكر من القطر العربى العريق

مختار محمد هويسة

متى تموت العصبية القبلية ؟

فى عدد مجلة المصور ... الذى صدر يوم الخميس ٢٩ من مارس الماضى سنة ١٩٥١ قرأ الناس قصة عراك نشب فى بلدة حلوان بين فريق من أهل البلدة وفريق من أهل دمياط سببه أطفال صغار كانوا يلعبون بكرة أمام منزل أحد الحلوانيين ، وراح ضحيته رجل فى مقتبل العمر خلف وراءه فى يد الأقدار أفراخا لما ترش بعد وزوجة مكلومة يقطر قلبها بالدم ، فذكرتنى تلك الحادثة بأخرى تماثلها حدثت فى مدينة السويس منذ عام بين جماعة من أهل الإسكندرية جاءوا بقضهم وقضيضهم من مصنع السماد الذى يعملون فيه وجماعة من أهل السويس وتجمعوا لملاقاة السكندريين وكانت معركة رهيبة أنهدت فيها السواكين فى الجسوم ، وتفجرت الدماء غزيرة فى منظر بشع تتقزز منه النفس ، ولا أظن أن كان لتلك الحادثة سبب أقوى من السبب فى الحادثة الأولى ، بل هو كالذى وصمته المجلة بقولها (يعطيها الصغار ويقع فيها الكبار) أو كما هو معروف من المثل الشائع « وأول النار من مستصغر الشرر » . فهذان الحادثان وأمثالهما مما يقع عادة بين العائلات وخاصة فى الريف ، لا يجوز للعاقل أن يسميها بالحوادث الطارئة التى تحتمها ظروف خاصة قهرية ، وتتمخض مريعة فى نفس اللحظة التى يولد فيها السبب والدافع ثم لا تلبث أن يضيع أثرها . أما أن تركت ذيولا وآثاراً فذلك ما أردت من القارئ أن يشاطرنى فهم نتائجه فهماً صحيحاً . وهل خليق بتلك الذيول أن تعمل عملها فى الناس وتثير بينهم مثل هذه النوازع إلى الشجار المنيف المميت ؟ أم أن الناس جبلوا على أن يتناولوا المبدأ القديم « أنصر أخاك ظالما أو مظلوماً » تناولا عماده الجهل وعدم تقدير للعواقب كما كان العرب يتناولونه ويطبقونه فى نصرفاتهم قبل شروق الإسلام وأخذ المسلمين به بعد تبيينه من الرسول عليه السلام ؟ الحق الذى لا مراء فيه هو أن الأسباب ما دامت متهالكة واهية والمقدمات ركيكة متداعية فإن النتائج تكون أوهى وأضعف وليست شيئاً ذا بال ... فنخلص من ذلك إلى كلمة نسم بها تلك الحوادث المخجلة المخيفة (وهى النتائج الفادحة لمقدمات تافهة لا قيمة لها ، وعملى الشعوب البدائية القديمة لا عمل الشعوب المتمدينة الحديثة) فنقول : إنها العصبية القبلية والنعرة البغيضة التى طالما سمعنا وقرأنا عنها وهى تفعل أفاعيلها بين أهل الريف من قرى الصعيد وكثير من قرى الوجه البحرى حيث يفنى بعضهم بعضا ويحكم بعضهم على بعض بالإعدام ، تارة بالرصاص وأخرى بالذبح وثالثة بالشنق والخنق ، وهل بعيدة عنا تلك الحوادث الدامية التى دارت رحاها بين قبيلتى (الهوارة والفلاحين) فى مركز دشنا ؟ وإنا لنرى متعجبين أن حياة النازحين من أهل الريف إلى القاهرة والإسكندرية والسويس مثلا برغم تبدلها بانتقالهم من بيئة خشنة جافة فى الريف إلى أخرى لينة ناعمة فى العواصم فلم تبرح تلك العصبية تتملك أزمتهم وتحيا فى رؤوسهم ، حتى بات الأخذ بالثأر القانون الأول فى دستور ابن الريف . ولا ندرى متى تنتهى تلك العصبية القبيحة البالية ؟ ومتى يا ترى تحل محلها عصبية أخرى من المحبة والسلام والخير والجمال ؟ ليت شعرى هل يكون صاحب الدم نفسه أول من يستجيب فيرضى الله مخلصاً بالتسامح والعفو ، فيضع حدا لسفك الدماء حقناً لها وإبقاء على حياة البرآء الآخرين ؟

(السويس) محمد عبد الرحمن